كيــف قوّضــت أرنــدت هايدغــر*

حــوار مــع: **جــاك طامينــو****
مقتطفات : **مارتـــــــــن دورو**
ترجمــة : **عبد الوهاب شعلان*****

مقدمــة المترجــم :

أثناء إقامتنا القصيرة في باريس شهر مارس المنصرم لحضور معرضها الدولي للكتاب ، كان من حسن حظنا أننا حصلنا على العدد الأخير – خارج السلسلة Hors-Série من المجلة الفرنسية الشهيرة "مجلة الفلسفة" philosophie magazine. و قد خصصت هذا العدد لإحدى أهم المفكرات و أكثرهن عمقا و تأثيرا في الأوساط الفلسفية والسياسية ، إنها الفيلسوفة الأمريكية ذات الأصول الألمانية – اليهودية حنا أرندت. Hannah Arendt.

نأت أرندت بنفسها عن لقب الفيلسوفة و فضلت عنه " أستاذة النظرية السياسية " . و قد استطاعت – بكثير من الأصالة و العمق – أن توجه هذه النظرية خصوصا و الفكر الغربي الحديث عموما نحو تصور ملك منها شغاف القلب ، إنه " أصول النزعة الشمولية" أو التوتاليتارية les origines du totalitarismeالذي استوحته من تأملاتها العميقة في تجربة خطيرة من تاريخ أوربا ، تمثلت في تنامي الأفكار و الأنظمة ذات النزعات الجذرية والخلاصية القائمة على مبدأ الحل النهائي . و هكذا استخلصت أرندت من تجارب النازية و الفاشية و المحاكمات التي جرت بعد الحرب الثانية ،لاسيما محاكمة أدولف إيشمان Adolf Eichmann التي عايشتها عن قرب ، استخلصت من كل ذلك مفهوم

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1323

" تفاهة الشر" La banalité du mal الذي سيغدو أحد أهم مفاتيح عملها الفلسفي.

و في هذا الحوار، يعود جاك طامينو Jacques Taminaux – أحد كبار أساتذة الفينومينولوجيا المعاصرين – إلى تلك العلاقة الملتبسة بين أرندت و هايدغر الذي تعرفت عليه في سن الثامنة عشر عندما كانت طالبة فلسفة ضمن الملتقى الذي كان يشرف عليه في جامعة ماربورغ . هناك نسجت روابط من الحب و الإعجاب و الريبة و النفور أيضا، فقد كان هايدغر M. Heideggerلا يخفي ميوله النازية ، و هو ما جعل أرندت تعيد تشكيل فكره ، مقدمة ملاحظات قوية لفلسفة أستاذها، راجعة بين الحين و الآخر إلى هوسيرل E. Husserl وكارل ياسبرس K . Jaspersاللذين مثلا علامتين هامتين في حياتها الفلسفية.

نص الحوار:

يتتبع جاك طامينو ، بوصفه فينومينولوجيا ، مسار الفيلسوفة التي انبهرت في أول الأمر بقوة و أصالة فكر هايدغر ، قبل أن تبتعد عنه و تدحضه ، مؤسسة فكرا يتعارض معه في نقاط أساسية.

س: في عام 1924 تتوجه حنا أرندت إلى ماربورغ لتتابع دروس هايدغر، فكيف كانت ردة فعلها ؟

جاك طامينو: لقد كانت الطالبة الشابة صاحبة الثامنة عشر من العمر مأخوذة بوهج أستاذها ، ولكي نفهم هذا الافتتان ، يمكننا الرجوع إلى ما كتبته أرندت بعد ذلك .ففي عام 1969 كتبت نصا في تكريم هايدغر بمناسبة عيد ميلاده الثمانين ، تشير فيه إلى أنه في العشرينيات – من القرن الماضي– كانت

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1323

هناك إشاعة تصاحب اسم الفيلسوف . ماذا تقول هذه الإشاعة التي جلبت إلى صفه عددا كبيرا من الطلبة؟ لقد كان مفادها أن هناك " ملكا سريا " للفكر في ألمانيا يعتقد أنه وصل إلى الأشياء نفسها التي وردت في الأطروحات الهوسيرلية(نسبة إلى إدموند هوسيرل) . و هي بذلك تشير إلى منطلق الفينو مينولوجيا ، تلك الحركة الفلسفية التي أسسها هوسيرل الذي كان يدعو إلى العودة إلى الأشياء في ذاتها ووصف الظواهر كما تتجلى لنا ، من خلال تعليق(يستعمل هوسيرل عبارة la mise en parenthèse) مفاهيمنا المعتادة و علاقتنا اليومية مع العالم. و لكن ما تقترحه أرندت هو أن هايدغر قد وصل بفكره إلى الظاهرة في ذاتها بصورة أفضل من أستاذه هوسيرل، مما جعل الأول يمتاز عن الثاني في نظرها. و السبب يكمن في الآتي : عند هوسيرل الظاهرة هي حياة الوعي و الرابط بين الأفعال(الإدراك، التخييل ، الرغبة...) و الأشياء التي يقصدها، أما عند هايدغر فإن الأمر لا يتعلق بالوعي وإنما بما يطلق عليه : "الدازين".Dasaein.

س : ما هو الدازين ؟

جاك طامينو: تعني هذه الكلمة في الألمانية ببساطة " الوجود" . ولكن بالنسبة إلى هايدغر الوجود هو امتياز الكائن البشري ، لذلك يسمى هذا الكائن " الدازين" . و هذا الأخير يتمتع بخصوصية : ليس المطلوب هو فهم كينونة الأشياء و موجودات العالم فحسب، بل فهم كينونتها الذاتية أيضا. إن الفكر الهايدغري- إذن – يتمحور حول "الدازين" . و لكي نصف مختلف الحالات التي يوجد من خلالها ، يبدو من الضروري إعادة تأويل التراث الفلسفي بعمق وربما إحداث القطيعة معه أيضا. إن معلم ماربورغ(هايدغر) يتحدث عن" تقويض " لا مناص منه ، و هو مفهوم سيتلقفه دريدا بعد ذلك. فالتقويض هو جهد يهدف إلى تجديد الفكر بتحرير المفاهيم من النزعة الأكاديمية التي تعمل على تجميد هذه المفاهيم و

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1323

تحويلها إلى أنماط مفصولة عن تجربة الحياة. في ظل ذلك سرعان ما أخذت أردنت بأصالة و قوة هذه الطريقة.

س : ما ذا تناول الدرس الذي تلقته بدقة؟

جاك طامينو: أثناء هذا السداسي الشتوي بين عامي 1924 و 1925 خصص هايدغر تعليمه لإحدى محاورات أفلاطون الموسومة " السفسطائي" le sophiste. و في النص التكريمي الذي ذكرته آنفا ، كتبت أردنت مبينة أن هايدغر أخضع هذه المحاورة إلى مساءلة متفحصة تستهدف مواجهة مجموعة من القضايا ذات الأهمية المستعجلة . فما هي هذه المشكلات المصيرية ؟ لا يتصور أفلاطون – في خطابه هذا – الفلسفة خطابا نظريا يفضي في الأخير إلى إقامة نسق ما ، بل يراها شكلا ملموسا من الوجود . إن الحياة الفلسفية لتتعارض مع ذلك النمط الذي نجده عند السفسطائيين، أسرى المعتقدات الشائعة Doxa والآراء المتعارف عليها و البديهيات (في اللغة اليونانية تعني Doxa ما يتجلى بصورة أولية). و إذ يواجه الفيلسوف السفسطائيين ، فإنه يرنو إلى الحقيقة . و في سياق إعادة قراءة أفلاطون ، يستعمل هايدغر الكلمة اليونانية Aletheia التي تعني الحقيقة أو نزع الغطاء بصورة أكثر دقة.إن عمل الفيلسوف يقتضي كشف الحجب عن الكائن نفسه ، و هو شكل من الوجود أكثر سموا بالنسبة للكائن البشري.و في هذا المقام يتحول هايدغر من أفلاطون إلى أرسطو ، ملتمسا إيضاح الطريقة التي بها يتمكن الموجود أو " الدازين" من الاستحواذ على الحقيقة التي تخصه هو تلك التي تخص الكائن عامة.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1323

س: أرسطو من أجل فهم أفضل لأفلاطون؟

جاك طامينو: لقد قرأ هايدغر أرسطو و مؤلفه Ethique a Nicomaque**بوصفه** مقدمة لأفلاطون .ما يهم الفيلسوف الألماني هو تراتبية أنماط الحياة التي يطرحها أرسطو ، فالإنسان يملك مستوى أعلى و آخر أدنى من السلوك . نجد في المستوى الأدنى السلوك المقترن بالنشاط ، و ينقسم إلى نشاطين : أولهما المتعلق بالإنتاج (الشعر، "الإنسان الخالق" l'homo faber الذي ينشئ حسب نماذج معطاة سلفا – أدوات ، كراس ، منازل...)، و ثانيهما هو العمل أو الحركة (مفهوم البراكسيس في الميدان السياسي مثلا) . و يعتقد هايدغر و أرسطو كلاهما أن العمل أسمى من الإنتاج لماذا ؟لأن الهدف في العمل كامن في الذات الفاعلة و ليس خارجا عنها، فهي تبدع و تطور من تلقائها و لا تكتفي بصناعة أشياء.و لكن فوق العمل يكمن مستوى أعلى من السلوك، إنه ذلك الذي يعود إلى حياة التأمل و التنظير Théoria **التي** تبلغ مداها في مرتبة الحكمة . وقد كان اليونان يرون أن هذه الحكمة تختص بتأمل ما يبقى على الدوام أي الطبيعة. و يذهب هايدغر – في تقييمه الشخصي لأرسطو- إلى أن حياة التأمل ليست توجها نحو أزلية الكون بقدر ما هي تمركز كامل حول الذات ، ذلك أن قدر الوجود الأصيل بالنسبة للدازين هو أن يعيش بعزم زمنيته الفانية.

س :لنعد إلى أرندت ، ماذا أوحت لها كل هذه التحليلات المكثفة؟

جاك طامينو: لقد تحدثت- كما رأينا – عن " مجموعة من المشكلات ذات الأهمية المستعجلة" استخلصتها من درس" السفسطائي" . أعتقد أنه بسبب صدمة ما وبفعل شيء من التراجع ، استطاعت أن تتحقق إلى أي مدى كانت تحليلات هايدغر محل ضمان. و لكن بعد هذا الافتتان الأولي ، سنراها تغذي

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1323

مرارة عميقة تجاه معلمها القديم ، ناتجة -دون أدنى شك -عن هذا التوافق الخطير بينه وبين النظام النازي ، و سيأخذ هذا الشعور شكل الرفض الكامل ثم يأتي زمن الردود الفلسفية بعد ذلك.

س: لنبدأ بالرفض ، كيف تم التعبير عنه؟

جاك طامينو: ظهر ذلك بوضوح في مقال تأسيسي عام 1946 عنوانه : " ما هي فلسفة الوجود؟" حيث ترفض أرندت – بصورة فجة – أي عامل مشترك بينها و بين هايدغر . و لكي تقر هذا التعارض، تعود إلى فكر كارل ياسبيرس الذي أشرف على أطروحتها . لقد كان ياسبيرس فيلسوف التواصل الذي يرى أن التفاعل مع الآخر أمر ضروري في تكوين الكائن الإنساني ، بينما يؤكد هايدغر أن الدازين لا يكون ذاته ولا يوجد بصورة أصيلة إلا إذا انقطع اهتمامه لنفسه و انعزل تماما عن الآخرين. و إذا أردنا أن نصف الذات الهايدغرية بكلمات أرندت لجاز لنا أن نقول إنها " الأنانية المطلقة" و " الانفصال الجذري عن كل ما يشبهها". و في مقابل ذلك تعتبر هذه الذات " كلا" و " لاشيء" في الوقت نفسه، فهي "كل" لأنها هي التي تجيب عن السؤال المتعلق بمعنى الكائن، وهذه المحايثة الأصيلة تجعل من الدازين يحتل مكانة الإله في الميتافيزيقا التقليدية. وهي أيضا " لاشيء" لأنه لا يمكن أن تصل إلى ما يميزها إلا إذا استبقت موتها الخاص أو عدمها.و من خلال النقطتين السالفتين تنتهي أرندت إلى أن فكر هايدغر متغطرس و قاتل ، و تلك أسباب كافية لرفضه جملة وتفصيلا.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1323

هوامـــــش:

* هذه ترجمة لجزء من حوار مطول بعنوان : Comment Arendt a déconstruit Heideggerمع الفيلسوف الفينومينولوجي جاك طامينو ، و هو مقتبس من:
La revue ; **philosophie magazine** – Hors Série- Hannah Arendt , Février – Avril ,2016 , paris , p86-87-88.

** ولد جاك طامينو عام 1928 في بلجيكا، وهو أستاذ مبرز في جامعة لوفين Louvain و كلية بوسطـــن . ويعد من أهم الوجوه المعاصرة في الحركة الفينومينولوجية . حضر ملتقى هايدغر الأخيـــــــر عام 1973 ، و أقام حوارا نقديا مع فكره من خلال معارضته بفكر أرندت التي التقى بها عام 1971 في نيويورك . و في هذا السياق ألف كتابه المرجعي الذي ظهر عام 2006:La fille de thrace et le penseur professionnel (التعريف مقتبس من الحوار).

*** أ.د. عبد الوهاب شعلان، أستاذ بقسم اللغة و الأدب العربي- جامعة محمد الشريف مساعدية – سوق أهراس ، ورئيس تحرير مجلة " **أبوليوس**".

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1323